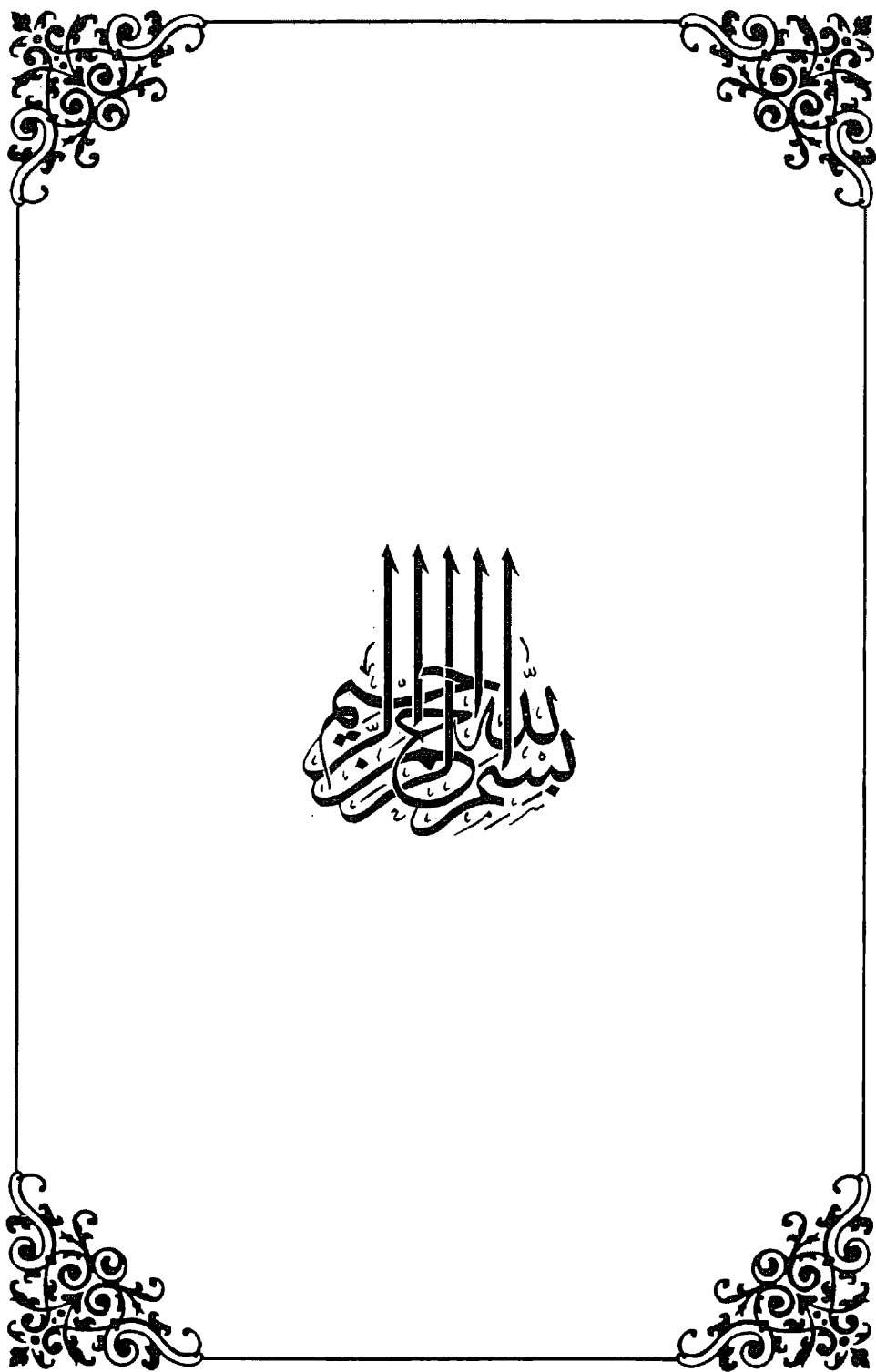


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبها الفارسي الكرمي :

أقرأ سورة الفاتحة كلما قرأت في كتاب منه كتبي ، ولا تعد نولها إلى العبد
الشهير ، والعارف الكبير ، عمال لولاء الحجة بالكتاب والسنة ، المنفرد
والمحدث بالفوائد المتصلة ، محمد كبر المحمدين - في حلب ووشق والمغرب
وخبرهاني البلاد الإسلامية - بأهازج حوالة الفوائد - محفوظة محمدي يسري
وسيني والري الكرمي ، الشيخ محمد نجيب سرادج الدين الشسني ، رحمه الله
تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيراً ، إنه هو السميع العليم

آمين



الأميانات
بعوالم الآخرة ومواقفها

بقلم
عبد سراج الدين

يطلب من مكتبة وزارة الفيلسوف
كتب. أفضول. أتمام كتابه أمانة

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالتَّصْوِيرِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

مطبعة التوفيق
حلب - هاتف ٣٣٣١٥٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمدٍ سيد الأولين والآخرين، وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين .

اللهمَّ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

وبعد:

فهذه نماذج مختصرة، وفصول مقتصرة، ترسم في صفحات قلب القارئ الكريم صوراً علمية من صور عوالم الآخرة وبرازخها ومواقفها، وتعرضها عليه عرضاً متناسقاً متسلسلاً، تتجلى في ذلك حقائق الإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان العقائد الإيمانية، المذكورة في جميع الكتب الإلهية السماوية .

وإنّ كثيراً من شباب المسلمين لا يعلمون من الآخرة غير اسمها، بل ربما يرى بعضهم أنّ البحث فيها أبسط من ذلك؛ وأنه لا حاجة إلى جميع ما هنالك .

فلذا أردتُ - والله المستعان - أن أريهم قَبَساً من أنوار الآيات القرآنية الحكيمة، والأحاديث النبوية الكريمة، عساها تُشرق على قلوبهم؛ فتطرد ظلمة جهلهم بأخترتهم، التي سينقلبون إليها مهما

طال بهم العُمر، وإنَّ كلَّ آتٍ قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت،
وحينذاك يُكشف عنهم الغطاء، ويتحقق اللقاء، وتذهب الغفلات،
وتتوالى عليهم الحسرات والويلات، رُحماك رُحماك يا ربَّ
البريات .

ومنْ تدبَّر كلام ربِّ العالمين سبحانه، علم أنه كثير التنبيه،
شديد التحريض على اذكار الآخرة، والاستعداد المطلوب لها؛ فما
يمرُّ القارئ على طائفة من آيات الله تعالى البينات إلا وفيها تصريح
بأمر الآخرة أو تلويح .

كما أنَّ مَنْ قرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآها
كثيرة التذكير بأمر الآخرة، عظيمة التحذير من أهوالها ومواقفها،
قوية التنبيه إلى السعي لها؛ والاستعداد إليها .

لا ريب إذاً أنَّ هذا كله ينبئنا عن خطورة ذلك العالم الأخرى،
وشدَّة هوله، وعِظم أمره، ووجوب الاهتمام بشأنه .

فجدير بنا كلُّ الجدارة أن نتحدَّث عن اليوم الآخر، وبعض
أحكامه، وأطواره وأحواله، متبعين في ذلك كتاب الله تعالى،
وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، راجين منه سبحانه
وتعالى إخلاصاً في القصد، وصدقاً في العمل، وسداداً في القول،
إنه قريب مجيب .

* * *

مقدمة

في أَنَّ الآخرة هي حقُّ ثابت لا ريب فيها

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ - أي: اليوم الآخر - ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

إنَّ كلَّ عاقل إذا أمعن النظر في الآيات القرآنية الكريمة، يجدها قد سلكت في إثبات الآخرة، والنشر والحشر والحساب، وجميع ما هنالك - أحسن الطرق التي تُنير العقول، وتُبصِّرُها منهاج الوصول إلى اعتقاد ذلك، والإذعان إليه - ونحن نقدّم إليك بيان هذا.

إنَّنا إذا تدبرنا الآيات الكريمة التي تَبحث عن الآخرة، يتضح لنا جلياً أنَّها تستنهض العقول مِنْ غَفَلاتها، وتَسْتَفِرُّ الأفكار من مراقدها، لأجل أن تَضْطَرَّها إلى إثبات عالم الآخرة، وإنَّ العقل السليم ليأبى أن يقف عند حدِّ عالم الدنيا الفاني، ويُنكِر العالم الآخر الباقي؛ وقد جاءت الآيات القرآنية في إثبات ذلك على وجوه متعددة:

أولاً: تنبيه القرآن الكريم إلى أنّ النظر في العالم السماوي والأرضي يؤدي إلى إثبات الآخرة:

قال الله تعالى:

﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلِفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٧١﴾ .

فقد أثار الله تعالى لأولي الألباب، وهم الذين عبّروا حجاب الحسّ حتى انتهوا إلى اللباب، أثار الله تعالى لهم طُرق النظر والتفكر في خلق السموات والأرض، وما أودع فيهما من آيات القدرة، وشواهد العلم والحكمة، فجالت أفكارهم في تلك الآيات السماوية والأرضية، مُعتبرين مُستبصرين، فأيقنوا بوجود ربّ خالق عليم حكيم، تجلّت آثار صفاته في مصنوعاته ومُبدعته، وأشرقت أنوار أسمائه سبحانه في مرايا مخلوقاته.

فشاهد أولو الألباب تلك الصفات الإلهية مسطورة على صفحات الكائنات العلوية والسفلية، وقالوا: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾ وحينئذ التزموا عبادة هذا الإله الربّ العليم الحكيم وفاءً بحق ربوبيته عليهم، ولازموا ذكره قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

ثم إنهم تابعوا السير بعقولهم وألبابهم، يتجولون ويتفكرون في أنحاء الآيات السماوية والأرضية؛ وسائر الآيات الأفاقية، فانتهوا إلى نتيجة لهذا العالم، وأيّ نتيجة، وما أصحها وما أحكمها

وما أصدقها من نتيجة - إنها نتيجة مقدمات عالم الدنيا كله .

وهي : أنَّ هذا العالم البديع المُحكَّم، والمصنوع المتقن، الذي يسير بنظام وإحكام، فالسمااء في إبداع وإتقان، والشمس والقمر بحسبان، والكواكب في سير وانتظام .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

وفيها الحبُّ ذو العصف والريحان، وفيها الليل والنهار، والأنهار والبحار، والزروع والأشجار، إلى ما وراء ذلك من آيات الاعتبار لأولي الأبصار .

فأيقنوا أن هذا العالم المحكَّم المتقن، لا يجوز في مقتضيات العقول الصحيحة؛ أن يكون أمره عبثاً، ولا أن يكون بناؤه باطلاً، ويستحيل عقلاً أن يكون ليس وراءه حكمة عُليا، هي نتيجة لِحكمة خلقه ونشأته، بل لا بُدَّ وأنَّ هناك نشأةً أُخرى وراء هذه النشأة، تتجلى فيها جميع حِكَمِ النشأة الأولى، وتظهر فيها نتائج التكاليف الشرعية، وَيَمِيزُ اللهُ تعالى فيها الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والمسيء من المحسن، وينتقم فيها من الظالم للمظلوم، ومن الباغي للمبغى عليه .

ولولا تلك النشأة الآخرة، لضاعت حكمة خلق هذا العالم، ولكان أمره عبثاً باطلاً ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

بَلْ لَوْ لَا حَقِيقَةُ الْآخِرَةِ - وهي : الحاقَّة التي تحقُّ فيها الحقائق -

لولا ذلك لضاعت حكمة الشرائع الإلهية الحكيمة القويمة، لأنه حينئذ يتساوى الحق والباطل، والعدل والظلم، والفساد والصلاح - وهذا أمر باطل مُحال كإحالة ويطلان تساوي الظلمة والنور، والعمى والبصر، والجهل والعلم، والأحياء والأموات.

وإلى هذا كله نسبّه الله سبحانه وتعالى العقلاء فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّوبُ فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.

فالحكمة في الخليقة الكونية، والحكمة في الشرائع الإلهية تقضيان أن يكون هناك يوم آخر، فيه المسؤولية والجزاء، ومن ثم قال أولوا الأبواب: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: نُنَزَّهُكَ عن اللعب والعبث في خلقك وشرعك، وإنما خلقت الخلق بالحق والحكمة، التي تقتضي الجزاء بالثواب أو العقاب، ولا بُدَّ في ذلك من جنة ونار ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ثم إنهم سألوا الله تعالى الجنة التي وعدهم بها على السنة الرسل صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

وقد مدح الله تعالى في تلك الآيات الكريمة أولي الأبواب، الذين جالت أفكارهم في أنحاء العالم السماوي والأرضي وما بينهما، وبذلك انجلت لهم حقائق الحق الذي به خُلِقَتْ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَجَلَّتْ لَهُمْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ بَدْءاً
وَأَنْتِهَاءً، وَحِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي رِسَالَاتِهِ وَشَرَائِعِهِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْغَافِلِينَ عَنِ التَّفَكُّرِ، وَنَعَى عَلَى الَّذِينَ
لَا يُعْمَلُونَ أَفْكَارَهُمْ، فَلَا يَتَفَكَّرُونَ وَلَا يَتَعَقَّلُونَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الْآيَةَ.

وَالْمَعْنَى أَوْلَمْ يُثَبِّتُوا وَيُحَقِّقُوا التَّفَكُّرَ فِي أَنْفُسِهِمْ - أَي: فِي
قُلُوبِهِمْ وَضَمَائِرِهِمُ النَّفْسِيَّةِ، أَي: فَمَالِهِمْ - قَبْحُهُمْ اللَّهُ تَعَالَى - رِضْوَانًا
أَنْ تَكُونَ قُلُوبُهُمْ فَارِغَةً مِنَ التَّعَقُّلِ، وَنَفُوسُهُمْ خَاوِيَةً مِنَ التَّفَكُّرِ؟!
فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الْحَيَوَانَ الْبَهِيمِيِّ، وَلَيْسَتْ صِفَةَ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ،
فَكَيْفَ بِهِمْ وَقَدْ رِضُوا أَنْ يَكُونُوا فِي عِدَادِ الْبَهَائِمِ الْهَمَلِ، لَا تَفَكِيرَ
لَهُمْ وَلَا تَعَقُّلَ فِي أَمْرِ هَذَا الْعَالَمِ، وَحِكْمَتِهِ وَنَهَايَتِهِ.

﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾.

يَعْنِي أَنَّهُمْ لَوْ رَجَعُوا إِلَى صَوَابِهِمْ، وَفَكَّرُوا فِي ضَمَائِرِ نَفُوسِهِمْ،
لَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
بِالْحَقِّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلًا وَلَا عَبَثًا بَغَيْرِ حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَإِنَّمَا
خَلَقَهَا مَقْرُونَةً بِالْحَقِّ، مَصْحُوبَةٌ بِالْحِكْمَةِ، وَمُنْتَهِيَةٌ لِلْحِكْمَةِ، وَإِنَّ
مِنَ الْحِكْمَةِ تَقْدِيرَ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَهُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ، وَوَقْتُ الْحِسَابِ،
وَالْجَزَاءِ: بِالثَّوَابِ أَوْ الْعِقَابِ.

﴿أَوْلَمْ يَنْفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
الْآيَةَ﴾.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَوْلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الْغَافِلُونَ الْهَمَلِ

في أنفسهم التي هي أقرب الخلق إليهم، وما أودع الله تعالى في هذه النفس من بدائع الحكمة، وحسن التدبير والصنع، ومن ثمَّ يتطلعون إلى التفكير في الآفاق المحيطة بهم من السموات والأرض وما بينهما، وبذلك يهتدون إلى الحق الذي قامت به السموات والأرض، ويعلمون أنه لا بُدَّ من الانتهاء إلى أجل مسمى، وهو القيامة، وما احتوت عليه من الجزاء والحساب.

ثانياً: تنبيه القرآن الكريم إلى أنَّ النظر في إبداع الإنسان يُؤدي إلى إثبات الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالَّتِينَ وَالزَّيْتُونَ ۝١ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝﴾ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

أقسم سبحانه بأفضل مهابط الشرائع الإلهية المباركة، ومنازل الوحي بالكلام الإلهي النازل على رسوله صلوات الله عليهم؛ مهبط نزول الوحي على عيسى عليه الصلاة والسلام، وإنزال الإنجيل عليه، وهو البقعة المباركة من فلسطين، وأشار إلى ذلك بما يتبنت عليها من التين والزيتون المباركين، الكثيرين في تلك البقعة.

ثمَّ أقسم بطور سيناء، مهبط نزول التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام.

ثم أقسم بالبلد الأمين، بلد الله الحرام، مكة وما حولها، مهبط نزول النبوة والرسالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وترتيب ذكر هذه المواضع هنا جاء على طريق الترتيب.

فقد أقسم سبحانه بمهابط الوحي ومنازل الكلام الإلهي والتشريعات الإلهية؛ على خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ثم تعهده بما يسعده ويصلح شأنه في أمر التشريع، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: في أحسن كمال واعتدال في الصورة والمعنى.

قال العلامة الراغب: تقويم الشيء: تثقيفه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وذلك إشارة إلى ما خصَّ به الإنسان من بين أنواع الحيوان: من العقل، والفهم، وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في العالم. اهـ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ وجيء هنا بثمَّ ليشير إلى ما طوي ذكره، ولكن دلَّ عليه فيما بعده؛ والمعنى: خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ولكن لم نُهمِّله، ولم نتركه سُدىً، بل تعهدناه بالهدى، وإنزال الشريعة، وبيان الأحكام التي فيها سعادته وصلاحه، ليحفظ عليه حسن تقويمه وكماله الإنساني، فإن الله تعالى الذي أحسن الخلق والتقويم؛ قد أحسن وأحكم الشرع الحكيم، وجعل هذا الشرع الإلهي واقياً للإنسان من النقص والتدني في حضيض البهيمية الحيوانية، راقياً به من الإنسان الحيواني إلى الإنسان الرباني؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينَ﴾.

وذلك المطويُّ تحت ﴿ثم﴾ هو الذي ذكره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ أي: هملاً بلا تكليف أو نهى؛ يكون فيه صلاحه وسعادته.

وهو المذكور بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾

عَدُوٌّ ﴿ أَي: بعض أبنائكم الذين هم يلدون منكما يا آدم وحواء لبعض عدوؤ .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ خطاب لبني آدم عليه السلام، الذين هم في صلب آدم وسيلدهم، فأكد سبحانه بأنه يتعهدهم بالهدى فور هبوط البشرية إلى عالم الأرض - أي: بأن يُنزل الشرائع وفيها البيانات الثابتة بالبيّنات، والإرشادات إلى ما فيه الصلاح والنجاح في الدنيا والآخرة .

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ﴾ - أي: في الدنيا - ﴿ وَلَا يَشْقَى ﴾ - أي: في الآخرة - ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ - أي: تذكيري، وهديي وبياني - ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ - أي: ضيقة شديدة، محوطة بالمساوىء والهموم والمضايق، وذلك في الدنيا ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ الآية .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أي: فأنزلنا عليه الشريعة، وبَيَّنَّا له ما يضره وما ينفعه على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهناك قسم كبير من بني الإنسان أعرض عن تلك الشرائع، وردّها، ولم يتصف بالفضائل والكمالات التي جاءت بها تلك الشرائع؛ فرددناه أسفل سافلين، لأنه هو سفل نفسه، ونزل بها إلى مستوى البهيمية، ولكن هناك قسم آخر من بني الإنسان آمنوا بما أنزل الله تعالى، وعملوا بموجب شريعة الله تعالى، فارتقوا في الدرجات العلى، وهؤلاء هم الذين قال فيهم سبحانه: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: دائم غير مقطوع، وإنما ذكر هذا القسم على طريق الاستثناء لقلتهم بالنسبة لكثرة الذين كفروا .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ ﴾ الآية .

ثم قال سبحانه: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴾ المراد بالدين هنا الجزاء المرتب على الحساب .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَذِيُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ أي: جزاءهم .

وقال تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: هو سبحانه الملك والمالك ليوم الجزاء، وهو المحاسب لا غيره جلّ وعلا .

وفي الحديث الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول
الله تعالى: «أنا الملك، أنا الديان» أي: المحاسب والمجازي .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

هذا خطاب للإنسان كما قال مجاهد وأكثر المفسرين، والمعنى أي شيء يجعلك أيها الإنسان مكذباً بالدين - أي: الجزاء والحساب من بعد هذا البيان والبرهان، وأن الله تعالى قد خلقك في أحسن تقويم، فصوّرك وعدلك، ثم تعهّدك بالشرعة التي فيها صلاحك وسعادتك، ولم يتركك سدىً، بل إنّه بيّن لك ما ينفعك وما يضرّك، فمالك أيها الإنسان ذهبت تُنكر الحشر والجزاء؟!!

فمن ناحية القدرة هو أقدر على أن يُعيدك بعد موتك، ويُشئتُك خلقاً جديداً، فإنه لو عجز عن الإعادة لأعجزه وأعياه خلقك الأول - كلا بل هو سبحانه كما قال: ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ - أي: بل لم نعجز - ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

ومن ناحية الحكمة فإنّ حكمة أحكم الحاكمين تقتضي أن يعيد

الإنسان مرة ثانية للجزاء والحساب ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ .

وهذا أمر مُبرم ومحكم لا محالة .

وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحينئذ يكون المعنى : ومن الذي يكذبك بالجزاء يا رسول الله بعد هذا البيان ، والحجة والتبيان ، إلى آخر ما تقدّم - أي : فما أحد عنده عقلٌ ورويةٌ يكذبك بالجزاء ؛ وقد جئت بالأدلة القاطعة التي تُثبت ذلك حقاً .

ثالثاً: النظر في حكمة الشرائع الإلهية يُؤدي إلى إثبات اليوم الآخر :

قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ .

فالله تعالى الذي خلق العالم هو حكيم ، ومن مقتضى حكمته سبحانه إنزال الشرائع يتعهد عباده بما فيه صلاحهم ، ويدلّهم على ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا ، ويحذّرهم مما فيه فسادهم وشقاؤهم في الدنيا والآخرة ، ومن مقتضى حكمة التشريع الإلهي أن يُعيد الثقلين مرة ثانية ، ويرجعهم الله لأجل أن يحاسبهم ، ويجزيهم بأعمالهم التي عملوها ، فمنهم الطائع ، ومنهم العاصي ، ومنهم المؤتمر بأوامر الله تعالى ، ومنهم المتكبر على شريعة الله .

قال تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ - أي : رجوعهم - ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ .

فما خلق سبحانه البشر عبثاً لا لحكمة، ولا لأمر ولا نهي،
ولا لحساب ولا سؤال؛ بل ذلك ظنُّ الذين كفروا، وجعلوا حكمة
ربهم الذي خلقهم سبحانه، وإنما خلقهم عن حكمة ولحكمة،
وسوف يجمعهم في الآخرة عن حكمة ولحكمة.

فَخَلَقُ الْبَشَرَ بِلَا تَشْرِيعِ عَبَثٍ، وَتَشْرِيعِ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ بِلَا عَوْدَةٍ
وَمَرْجِعٍ إِلَى الْمَلِكِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ بَاطِلٍ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ أَنْ
يَخْلُقَ وَلَا يَشْرَعَ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْبَشَرِ وَمَصَالِحُهُمْ، وَتَعَالَى اللَّهُ أَنْ
يَشْرَعَ وَلَا يُرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ لَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّسْوِيَةِ
بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، وَالصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، وَالْعَادِلِ وَالظَّالِمِ وَالْعَادِلِ،
فَتَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ أَوْلَئِكَ.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ أي: كلا ولا.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: لا يؤمر ولا يُنهى.

فالآيات القرآنية تُرشدنا إلى أَنَّ قضية الآخرة هي حق وحقيقة
لا ريب فيها، يؤمن بها أهل العقول الصحيحة، ويستدلون على
حَقِّيَّتِهَا بِمُخْتَلَفِ الدَّلَائِلِ الكونية، الآفاقية والنفسية، والدلائل
التشريعية.

قال العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في: (تفسيره):
مِنَ الْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى الْمَعَادِ، أَنَّهُ قَدْ دَلَّتِ الْأَدْلَةُ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ
حَادِثٌ، فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ قَادِرٍ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَالِماً، لِأَنَّ
الْفِعْلَ الْمُحْكَمَ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْعَالِمِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَنِيًّا عَنْهَا

- أي: عن العوالم - وإلاً كان خلقها في الأزل وهو محال - أي: بل العالم حادث وليس بقديم .

فثبت أنّ لهذا العالم إلهاً قادراً عالماً غنياً، ثم لما تأملنا فقلنا: هل يجوز في حق هذا الحكيم الغني عن الكل أن يُهمَل عبده ويتركهم سدى - أي: بلا بيان وتشريع - ويُجَوِّز لهم أن يكذبوا عليه، ويبيح لهم أن يشتموه ويجحدوا ربوبيته، ويأكلوا نعمته، ويعبدوا الجِبْتِ والطاغوت، ويجعلوا له أنداداً، وينكروا أمره ونهيه، ووعدوه ووعديه؟! .

فها هنا حَكَمْتُ بديهية العقل بأن هذه المعاني لا تليق إلا بالسفيه الجاهل، البعيد عن الحكمة، القريب من العبث، فحكمتنا لأجل هذه المقدمّة: أنّ له سبحانه أمراً ونهياً .

ثم تأملنا فقلنا: هل يجوز أن يكون له أمر أو نهى، مع أنه لا يكون له وعد ووعد؟

فحكمت صريح العقل بأنّ ذلك غير جائز، لأنّه إن لم يقرن الأمر بالوعد بالثواب، ولم يقرن النهي بالوعد بالعقاب - لم يتأكد الأمر والنهي، ولم يحصل المقصود، فثبت أنّه لا بد من وعد ووعد .

ثم تأملنا فقلنا: هل يجوز أن يكون له وعد ووعد، ثم إنه لا يفي بوعدته ولا بوعيده لأهل العقاب؟ أي: الذين لا يليق بمقتضى الحكمة أن يغفر لهم كالمشركين مثلاً .

فعلمنا أنّ لا بد من تحقيق الثواب والعقاب، ومعلوم أنّ ذلك لا يتم إلا بالحشر والبعث، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . قال رحمه الله تعالى: فهذه مقدمات يتعلق بعضها ببعض،

كالسلسلة متى صح بعضها صحّ كلها، ومتى فسد بعضها فسد كلها؛ فدلّت مُشاهدة أبصارنا لهذه التغيرات - الكونية - على حدوث العالم، ودل حدوث العالم على وجود الصانع الحكيم الغني، ودل ذلك على وجود الأمر والنهي، ودل ذلك على وجود الثواب والعقاب، ودلّ ذلك على وجود الحشر - أي: ليتحقق الجزاء على فعل الأمر، ومخالفة النهي.

فإن لم يثبت الحشر أدى ذلك إلى بطلان جميع المقدمات المذكورة، ولزم إنكار العلوم البديهية، وإنكار العلوم النظرية القطعية. اهـ كلام الرازي رحمه الله تعالى.

وقد يُعاند بعض الجهال، ويتعامى عن تلك الأدلة كلها ويقول: هل هناك من قد ذهب وكشف لنا النقاب عن حقيقة الأمر، ورجع فأخبرنا عما هنالك؟ فإننا لا نُصدق إلا بالعيان، ولا نقبل الدليل ولا البرهان.

فيقال لهذا الجاهل الذي عمي عما ذكرناه من الأدلة: نعم، هناك من ذهب واطلع على تلك العوالم التي سينقلب الناس إليها، وعاد فأخبر عن جميع ذلك تفصيلاً.

وهذا المخبر الذي رأى فأخبر هو أصحُّ العالمين نظراً، وأصدق خَلق الله تعالى خَبَراً، ألا وهو سيدنا محمد الصادق الأمين، بشهادة أحبائه وأعدائه صلى الله عليه وآله وسلم.

فإذا كان الإنسان يُصدّق الرجل الثقة المخبر الصادق، الذي يُخبره عن بلد كذا وكذا وما فيها من كَيْت وكَيْت، فكيف لا يُصدّق أصدق العالمين سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، الذي

أسرى به الله تعالى ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات، ثم إلى سدرة المنتهى، وشاهد هناك عالم الجنة، وأدخل الجنة.

واطلع على عالم النار، ورأى ما رأى من ألوان عذاب أهل النار، وأنواع المعدّين.

وأطلعه الله على ما هنالك من العوالم؛ ثم عاد فأخبر عن ذلك تثبيتاً وتطميناً للمؤمنين بما غاب عنهم من تلك العوالم، وحُجّةً على المنكرين المعاندين الذين لا يُصدقون إلا بالعيان.

وهذا من جملة حِكَم المعراج العائدة إلى الأمة باليقين والتمكين والطمأنينة، ليكونوا على يقين في عقيدتهم بلا شك، وكأنهم عاينوا ذلك كله.

وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾.

ففي هذه الآيات يقسم سبحانه بالنجم إذا هوى، وهذا يشمل جميع النجوم السَّيَّارة، التي تهوي من المشارق إلى المغرب، يُقسم بذلك على حَقِّيَّة هَدْي هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ورشاده وصدق منطقته وصوابه، وينفي عنه كل النفي أن يكون ضل أو غوى، أو تكلم عن هوى؛ ويؤكد ذلك بإقرار قومه باعتبار أنه صاحبهم، نشأ بينهم وعاملوه، فهم أعرف الناس بصدقه وأمانته، وصفات كماله، لم يعثروا له على ضلالة ولا غواية منذ صغره صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذا تمهيد وإقامة حجة؛